المحاضرة الثامنة: شعر الفتوحات الإسلامية

مقدمة:

يعد قيام الإسلام من العوامل المهمة التي وحدت صفوف العرب المتنافسة على اراقة الدماء و الأخذ بالثأر ولم شملهم بعد شتات فجعل الإسلام قبائلهم المتنافرة أمة متظافرة ، و دفعهم الى إذاعة تعاليمه ، واعلاء كلمته و دفع من يريد فتنة الناس عنه، بعدما كانت العرب قبل الإسلام ضعافا أمام الفرس و الروم بل ان مناطق كثيرة من بلادهم كانت تخضع لنفوذهما ، وعندما اسلموا انحسر هذا النفوذ وتراجع عن بلادهم كلها حتى أنهم كانوا يعتقدون أنها قوة لا تقهر و لكن بمجيء الإسلام جعلهم أصحاب تنشئة جديدة و بث فيهم روحا أحالتهم خلقا جديدا كونه دين يلامس وجدانهم و نفوسهم وزرع فيهم بذور التوحد فتحررت نفوسهم من قيود الوهم و تطهرت قلوبهم من رجس الوثنية و استشعر كل واحد فيهم مدى الوحدانية و الصلة الوثيقة مع الله خالق الكون و أنه القادر على كل شيء في جمع قلوبهم التي دبّ فيها الايمان مما أدى الى خلق نظم روحية و اجتماعية دفعتهم الى قوة معنوية عظيمة ، حفزتهم الى مواجهة الفرس والروم في أعقار دورهما و هذه القوة المعنوية هي الدافع الحقيقي لنزال اشداء الفرس والروم من قبل العرب المسلمين.

دواعي الفتوحات الإسلامية وطبيعة الشعر فيها : الأمة العربية الإسلامية لم تكن أمة تمارس حب الاغارة على المدن المجاورة لها و انما هي أمة سلم و أمن و آمان و يقول في هذا الصدد الدكتور: **النعمان عبد المتعال القاضي**:" عجيب ان تقتدر امة ناشئة كاملة العرب المسلمين تتعاروها الفتن و الاضطرابات و حركات الارتداد و الانتقاض من كل جانب على ان تهدم امبراطوريتين عظيمتين لتشيد على انقاضهما امبراطورية في مدى لا يتجاوز عشر سنوات توهذاعلى العراق و الشام جميعا وتتخطاهما فتشتمل على فارس ومصر حتى تبلغ حدودهما الصين من الشرق و تونس من الغرب و بحر قزوين من الشمال و السودان من الجنوب"[1] و أمام هذه الدواع العقائدية حيث الأم تدفع بابنها الى الخروج في سبيل الدفاع عن الإسلام و الجهاد ويقول في والدافع الى يدفع الا[ناء يعصيان أوليائهم في سبيل الله ، والسبب الذي يجعل الآباء بالتخلي عن أبنائهم وزوجاته ممن اجل الجهاد وما هو الا إحساس بحب الله و مدى عظمته واستشعار لروح الايمان التي تجذرت في نفوسهم مما أخرجتهم هذه العقيدة من عبادة العباد الى عبادة الله فكان داعي الله أشد أثرا في قلوب المجاهدين من المسلمين و هذا الحتات يجيب أباه لما جزع عليه وبكاه و استعطفه ليرجع :

ألا من مبلغ عنى ذريحا فأن الله بعدك قد دعاني

فإن نسأل فإني مستقيد وإن الخيل قد عرفت مكاني

[1] ينظؤ النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، د.ط د ت، ص 31_32_33

وهكذا كان التسابق للجهاد إذ لا يعبئون بأهاليهم الذين يناشدونهم عجزهم و ضعفهم ، فيضربون بكل عرض الحائط ، ايثارا للآخرة، وحبا في الظفر و رغبة في المثوبة، ونجد الخنساء الشاعرة المكلومة التي تدفع بأبنائها الأربعة الى الجهاد ليلة القادسية ، وقد أخذت توصيهم قائلة: **"إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، ووالله الذي لا إله إلا هو ...إنكم لبنوا رجل واحد و أمراة واحدة ، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، و قد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ،و أن الدار الباقية خير من الدار الفانية ....فإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها و اضطرمت لظى على سياقها و جللت على اوراقها فيمموا وطيسها و جالدوا رئيسها عند احتدام حميسها تظفروا بالغنم و الكرامة في دار الخلد و المقامة"** [2]

طبيعة الحياة الأدبية خلال فترة الفتوحات الإسلامية:

كان للشعر مكانة مهمة في حياة العرب الجاهليين فهو سجل مفاخرهم و اللسان الناطق بما لهم من أحوال ومواقف فكان الشعر يطفئ لهيب الحرب و يزرع الألفة بين القلوب و يفتح النفوس، كما كان ينشد في المحافل و مجالس السمر ، غير أن رسالة الشعر قبل مبعث الرسول صل الله عليه وسلم كانت قد انحرفت عن غالب أمرها و نهجت منهجا يتنافى مع القيم والعادات والأفكار ، أما الشعر في ظل الإسلام جمع كلمته حول الدعوة الى الاخاء و المساواة و العفة في القول و الأدب ، فحرم الفواحش على الناس ، وحذرهم من باطل القول وزوره ويتجسد هذا في رد حسان بن ثابت شاعر الرسول لما قيل له: **"ضعف شعرك يا حسان فقال:" إن الشعر يزيّنه الكذب و إن الإسلام ينهى عن الكذب"** وهذا الرجل الذي دافع عن الرسول بلسانه هو كعب بن مالك و عبد الله بن رواحة كما قال الرسول صل الله عليه وسلم فيهم للنصارى يوما: **ما يمنع الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم**[3]

الفتوحات تذكي جذوة الشعر العربي:

إلا أن قول ابن سلام الجمحي يؤكد على أن تلك الفتوحات أخمدت الشعر و تراجع في ظلها لأن العرب انشغلت بأمور الحرب والفتح والنصر على قول الشعر و تدبيجه فيقول: **"فجاء الإسلام، فتشاغلت عنه العربُ، و تشاغلوا بالجهاد و غزو فارسٍ والرّوم، ولهّت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح ، واطمأنّت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر...** "[4] ويعلق عبد المتعال القاضي على رأي ابن

---

[2] المرجع السابق: ص40

[3] ينظر: جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية ، مج/1 ، ص 191.

[4] محمد ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر دار المدني بجدة ، السفر الأول، (د. ط)، (د. ت)، 23.

سلام قائلا :" **و هذا القول الذي يجانب الصواب لم يقتصر على ابن سلام وحده و إنما تابعه فيه كثير من الدارسين حتى استحال عصر صدر الإسلام لدى بعضهم الى عصر ركود أدبي و لدى بعض المعتدلين منهم الى عصر هدوء أدبي و الحقيقة الواضحة أن الإسلام لم يحمل العرب على الانشغال عن الشعر وروايته لأنه لم يكن يملك هذا لو أراد و كل ما كان من آثار لمجيء الإسلام على الشعر أنه حاول تغيير مهمته في الحياة العربية و تزويده بقيم واهداف جديدة تتفق و طبيعة الفكرة الإسلامية فأخذ يخلع طوابعه الخاصة على الشعر، ليتحول من ألهية تتلهى بها طبقة معينة من الناس الى وسيلة نافعة ، تُسخَّرُ من أجل مجموع المسلمين ، وتكون بمثابة طاقة نفسية تخدم هذه الجماعة ، وتعمل في سبيل غاياتها و مثلها** "[5]

انقسام الشعراء خلال فترة الفتوحات:

1_ الشعراء القدامى: يقول النعمان عبد المتعال واصفا الشعراء القدامى في بداية الفتوحات الإسلامية قائلا: "خفت صوت الشعر ولكنه لم يصمت تماما فقد كان هناك شعراء استجابوا لدعوة الإسلام سراعا و استبدلوا بمفاهيم الشعر الجاهلية مفاهيم إسلامية جديدة و استطاعوا ان يتقيدوا بمهمة الشعر التي حددتها المثل الإسلامية و ان يكتسبوا لأنفسهم أسلوبا من التأثر بالقران الكريم كما فعل اوللئك الذين جندوا للتصدي لشعراء قريش بينما ظلت طائفة منهم لم تسعفهم سلائقهم الشعرية بما طبعت عليه من الإلف للتقاليد الجاهلية المتأصلة بعيدة عن التأثر بهذه المثل، ومن لم يتمكنوا من أن يستبدلوا بها غيرها فكان أن سكتوا عن قول الشعر ، حتى كادت ينابيعه أن تغيض في وجدانهم"[6] وكان لهم مشاركة عظيمة لهؤلاء الشعراء القدامى من أمثال عمرو بن معد يكرب الزبيدي و و عبدة بن الطبيب و ابي محجن الثقفي و ربيعة بن مقروم الضبي و ابي ذؤيب الهذلي و عمرو بن شأس الأسدي.....

2_**شعراء أنطقتهم الفتوح:** اما الفئة الثانية من الشعراء الذي تفتقت لديهم ملكة الشعر وراج في ظلهم هم الشعراء الذي انطقتهم الفتوح الإسلامية ويعددهم النعمان عبد المتعالي فيما يلي «ذكت الفتوح الإسلامية جذوة الشعر العربية التي خبت حينا و قد وجدت وقودا غذاها فذكت و انطلق الشعر على سنة المحجمين من الشعراء المتحرجين فقد فتحت لهم الفتوح ابوابا كثيرة يدلفون خلالها من قواقعهم الى حيث يمارسون التعبير عن ذواتهم في ظلال فكرة الجهاد التي اجتذبتهم فاندفعوا الى الميادين حيث وضعوا فروسيتهم و شاعريتهم في خدمة الفكرة الإسلامية "[7] فهم ينقسمون الى قسمين حسب القاضي النعمان

---

[5] النعمان عبد المتعالي القاضي : شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ط1مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر 2005 ، ص171

[6] المرجع السابق: ص171

[7] المرجع نفسه: النعمان عبد المتعال القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص191.

الشعراء المغمورين: ويصفهم النعمان قائلا "هؤلاء الشعراء الذين انطقتهم الفتوح ينقسمون في تصورنا الى قسمين أولهما "طائفة من الذين لم يذع لهم شعر فيما قبل اشتراكهم في المعارك و لم يذع ذكرهم أيضا قبل ذلك و قد وجد هذا القبيل فرصته في الفتوح اذ سارت بشعره الركبان و سجل اسمه في ذاكرة العرب و ظهرت أسماء جديدة طالتنا في كتب التاريخ والمغازي لا بريق لها ولا الفة لدينا كالأسود بن قطبة التميمي و القعقاع بن عمرو و أخيه عاصم و حسان بن المنذر بن ضرار الضبي و الأعور العبدي الشني...."[8]

_ **ب الشعراء الناشئون**: ويطلق عليهم اسم الشعراء الدارسون أو المعبرين عن أنفسهم ويقصد بهم النعمان الفئة التي لم تكن لها علاقة بالشعر ولا قوله وانما علاقتها بالسلاح اهم من أي شيء وحمل السلاح والمعارك وإنما قالوا البيت الى البيتين فقط لدواع نفسية تفيض بها أرواحهم تنفيسا وتسرية عن خلجات صدورهم و هم يمثلون السواد الأعظم من الفاتحين وشعرهم استجابة حرة"[9] واغلبهم من الجند العاديين الفاتحين

3_ شعراء الفتوح الإسلامية: ونبغت فترة صدر الإسلام بمجموعة كبيرة من الشعراء منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وتميزت هذه الفترة بقلة الشعراء فقال " وشعر عمرو في الفتوح قليل جدا لا يتجاوز عدة مقطوعات قصيرة و هذه ظاهرة عامة ينضوي تحتها شعر الشعراء القدامى الذين اشتركوا في الفتوح جميعها في قلة ما خلفوا من اثار في شعر الفتح و ينضوي تحتها شعر الفتح كله في قلة عدد الابيات التي تحتويها المقطوعة"وتميز شعر الفتوح بالمواصلة على سيرة شعر الجاهلية دونما الاتيان بالجديد وذلك في قول النعمان " شعر الفتوح تعرض فقط للتأثيرات العامة المتمثلة في انكماش القصيدة و سرعته و تدفقه في ايجاز و حرارة فضلا عن صدقه الشعوري و حرارة تعبيره التي لازمت شعره في الفتوح"[10] ومن الأمثلة كلك القعقاع بن عمرو التميمي الذي سار علة نفس النهج الذي الفه شعره في الجاهلية

خصائص شعر الفتوح :

_السرعة في توصيف المعارك التي تقتضيها مواقف القتال التي تحتاج الى اللهث و الكر والفر من اجل النصرة والابتعاد عن الصبغة الهادئة المتأنية التي كانت تمليها الحياة الجاهلية في الطبيعة الصحراوية مما حدد الشكل والمضمون لطبيعة القصيدة .

_تميزت مقدمات شعر الفتوح بالابتعاد عن الفردية على عكس المقدمات الطللية التي تعتبر متنفسا فرديا

---

[8] المرجع السابق، ص 192
[9] المرجع نفسه، ص193
[10] المرجع نفسه : ص218

يهرب به الشاعر عن واقعه ويختلي باثار اطلاله و ذكرياته ولوعة قلبه جراء هجران الاهل والحبيبة له فحين الشاعر في فترة الفتوحات ليس بمعزل عن الجماعة الإسلامية فهو يعيش لأجل نصرة الدين والدفاع عن هويته العربية والإسلامية.

موضوعات شعر الفتوح:

شعر الجهاد:

تميز بشحذ الهمم وتنوير العقول حول العقيدة الإسلامية الصحيحة ورد الأعداء عن الدين وتقديسه ومحاولة الحث عن مبادئه و تفسير محتواه فارتقى الشاعر بشعره وقت الفتوح عن تلك البصمة التي ارتسمت عليها القصائد الجاهلية .

الرثاء : الذي يختلف في شعر الفتوح عن بكاء العظماء و الأشداء ومحاولة لاقتفاء أثرهم في ظل الإسلام وما قدموه في سبيل دينهم وتخليدا واقتداء بهم مع نبرة الشعر التي توحي بالإيمان بالقضاء والقدر و أن الانسان زائل مهما عمر طويلا وهنا يختلف عن رثاء الجاهليين الذي تملؤه نوازع الدنيا و حب العيش و عدم الاعتراف بالفناء و الموت .

الموضوعات الجديدة في شعر الفتوح:

شعر الحنين : الشاعر الفاتح يحن الى موطنه وأهله حبا لهم واستشعارا للمسؤولية امام رعيته وهو يفارقهم خروجا للجهاد في سبيل الله وحبا للشهادة ورغبة في نيل جنات الخلد .

الشعراء المخضرمون :ومدى تأثرهم بالإسلام: وفي هذا القول تقسيم وتمييز للشعراء المخضرمين وورد في طبقات فحول الشعراء كلام يسير عن هذه الطبقة من الشعراء و فيما يلي ما يدل على ذلك: ففصّلنا الشعراء من أهل الجاهلية و الإسلام، و المخضرمين الذي كانوا في الجاهلية و أدركوا الإسلام ، فنزَّلناهم منازلهم ، و احتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة ، و ما قال فيه العلماء ، وقد اختلف الناس والرواة فيهم ، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر ، و النفاذ في كلام العرب ، والعلم بالعربية، إذا اختلفت الرُّواة فقالوا بآرائهم ، وقالت العشائر بأهوائها ، ولا يُقْنِعُ الناس مع ذلك إلا الرَّاويةُ عمّن تقدَّم فانتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألَّفْنا من تشابه شعره منهم الى نُظَرائه، فوجدناهُم عشر طبقات ، أربعة رَهْطٍ كل، متكافئين معتدلينَ"

-

"[1].

شعراء متنوعون: تنوع الشعراء في فترة الفتوح، حيث انقسموا إلى قسمين:

1- الشعراء القدامى: يقول الدكتور النعمان عبد المتعال القاض يصف الشعراء القدامى في بداية الفتوحات الإسلامية: "خفت صوت الشعر، ولكنه لم يصمت تمامًا، فقد كان هناك شعراء استجابوا لدعوة الإسلام سراعًا، واستبدلوا بمفاهيم الشعر الجاهلية مفاهيم إسلامية جديدة، واستطاعوا أن يتقيدوا بمهمة الشعر التي حددتها المثل الإسلامية، وأن يكتسبوا لأنفسهم أسلوبًا أفادوه من التأثر بالقرآن الكريم، كما فعل أولئك الذين جندوا للتصدي لشعراء قريش. بينما ظلت طائفة منهم لم تسعفهم سلائقهم الشعرية بما طبعت عليه من الإلف للتقاليد الجاهلية المتأصلة بعيدة عن التأثر بهذه المثل، ومن ثم لم يتمكنوا من أن يستبدلوا بها غيرها فكان أن سكتوا عن قول الشعر، حتى كادت ينابيعه أن تغيض في وجدانهم"[2]. وقد شارك في الفتوح عدد كبير من الشعراء القدامى من أمثال "عمرو بن معد يكرب الزبيدي"، و"عبدة بن الطبيب"، و"أبي محجن الثقفي"، و"ربيعة بن مقروم الضبي"، و"أبي ذؤيب الهذلي"، و"عمرو بن شأس الأسدي"، و"قيس بن مكشوح المرادي"، و"عروة بن زيد الخيل الطائي"، و"النابغة الجعدي"، و"الشماخ"، و"الحطيئة"[3].

2- شعراء أنطقتهم الفتوح: غير أن هناك طائفة ثانية من الشعراء، كانت الفتوح الإسلامية سببا في نشاط الذائقة الشعرية لديها، ويصفهم الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي بقوله:" أذكت الفتوح الإسلامية جذوة الشعر العربية، التي خبت حينًا، وقد وجدت وقودًا غذاها فذكت، وانطلق الشعر على ألسنة المحجمين من الشعراء المتحرجين، فقد فتحت لهم الفتوح أبوابًا كثيرًا يدلفون خلالها من قواقعهم، إلى حيث يمارسون التعبير عن ذواتهم، في ظلال فكرة الجهاد التي اجتذبهم لألاؤها فاندفعوا إلى الميادين؛ حيث وضعوا فروسيتهم وشاعريتهم في خدمة الفكرة الإسلامية"[4]. وينقسمون إلى طائفتين، حسب تصور النعمان عبد المتعال القاضي:

أ- **طائفة الشعراء المغمورين:** وقد كثر شعراء هذه الطائفة كثرة بدأت مع الفتوحات مباشرة، ويصفهم النعمان عبد المتعال القاض بقوله:" وهؤلاء الشعراء الذين أنطقتهم الفتوح ينقسمون في تصورنا قسمين؛ أولهما: طائفة من الشعراء المغمورين، الذين لم يذع لهم شعر فيما قبل اشتراكهم في المعارك، ولم يذع ذكرهم أيضًا قبل ذلك. وقد وجد هذا القبيل فرصته في الفتوح؛ إذ سارت بشعره الركبان، وسجل اسمه في

ذاكرة العرب. وظهرت أسماء جديدة طالعتنا في كتب التاريخ والمغازي لا بريق لها ولا ألفة لدينا، كالأسود

ص 171.

[1]- النعمان عبد ا ئعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، (ط1)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر،2005،

ص 171.

ص 179.

ص 191.

[2]- النعمان عبد ا ئعالي القاضي: ا رجع نفسه،

[3]- النعمان عبد ا ئعالي القاضي: ا رجعنفسه، [4]- النعمان عبد ا ئعالي القاضي: ا رجع نفسه،

بن قطبة التميمي، والقعقاع بن عمرو، وأخيه عاصم، وحسان بن المنذر بن ضرار الضبي، والأعور العبدي الشني، ونافع بن الأسود بن قطبة التميمي، وضرار بن الخطاب، وعمرو بن مالك الزهري، وكثير بن الغريزة النهشلي"[1].

ب- الشعراء الناشئون: تشكل طائفة جديدة ليس لهم باع في الشعر مثل الطائفة السابقة،ويطلق عليهم الدارسون اسم "المعبرين عن أنفسهم"؛ يقول النعمان عبد المتعال القاض: "والقسم الثاني من هؤلاء الشعراء يشكلون ظاهرة مهمة جديرة بإنعام النظر، وهم أولئك الشعراء الذين لم يكونوا في الأصل يرتبطون بالشعر في قليل أو كثير؛ ذلك أنهم لم يكونوا ينظمون الشعر أو يعنون به ولكنهم حملوا السلاح وخاضوا المعارك،

فإذا بنفوسهم تفيض بالبيت أو بالبيتين أو بالمقطوعة القصيرة تسرية وتنفيسًا وحثًا لنفوسهم وتحميسًا.

وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من الفاتحين، وشعرهم ليس إلا استجابة حرة"[2]. وهم من الجند الفاتحين؛

"وأكثر هؤلاء الفاتحين المعبرين عن أنفسهم من الجند العاديين، الذين لم يكن متوقعًا منهم أن يعبروا بالشعر عن أنفسهم، ولكنهم أمام روعة الأحداث، والتهاب المشاعر، وجيشان العاطفة لم يملكوا أن يصمتوا، ففاض الشعر على ألسنتهم صادرًا من وجدانهم في عفوية حارة وصادقة، وقد جنت على هؤلاء الشعراء وعلى شعرهم شخصيتهم المنكورة، فاختلط بينهم شعر كثير. ولم ينسب إلى أصحابه قدر كبير منه، فإذا نحن أمام عبارات تتردد لا تحمل دلالة على الشاعر، وإن كانت تجعلنا نشعر أنه شعر شاعر من هؤلاء العاديين من الجند، كـ: قال أحد المسلمين، أو: قال أحدهم، أو: ارتجز راجز، وهكذا"[3].ويحصي الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي بعض شعراء هذه الطائفة في قوله: "حفظت لنا الروايات أسماء بعض هؤلاء، من مثل: أبي أحيحة القرشي، وبشر بن ذريح الثعلبي، وعصام بن المقشعر، وبشر بن ربيعة، والأشعث بن عبد الحجر بن سراقة، وجندب بن عمار، وعلياء بن جحش العجلي، والأعرف بن العلم العقيلي، وغيرهم كثيرون. ولعل في أبناء الخنساء الأربعة، وما جاش على ألسنتهم من رجز دافئ في القادسية خير مثال لهؤلاء. وكذلك هؤلاء المحاربون الجرحى الذين اجتمعوا حول نخلة القادسية يناجونها وقد رقت مشاعرهم وهفت نفوسهم إلى أهليهم وديارهم شعرًا بسيطًا معبرًا، وإن ضاعت أسماء بعضهم، فيروى البيت الأول لبجير "كذا"، والآخر لرجل من تميم، والثالث لغيلان، أخي بن ضبة، وهكذا"[4]. ومن نماذج أشعارهم، قول بشر بن ربيعة في معركة القادسية: (5)

وســـعد بـــن وقـــاص علـــيَّ أميـــر وخيـــر أميـــر بـــالع ارق جريـــر وعنـــد المثنـــى فضـــة وحريـــر

أنخـــــت ببـــــاب القادســـــية نـــــاقتي وســـــعد أميـــــر شـــــره دون خيـــــره وعنـــــد أميـــــر المـــــؤمنين نوافـــــل

ص 192.

(1)- النعمان عبد ا ّلله القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ،

ص 193.

ص 193-194

ص 194.

(2)- النعمان عبد ا ّلله القاضي: ا ّلرجع نفسه، (3)- النعمان عبد ا ّلله القاضي: ا ّلرجع نفسه، (4)- النعمان عبد ا ّلله القاضي: ا ّلرجع نفسه،

ص 52.

(5)- أبو العباس القلقشندي: م ّلية الأرب في معرفة أنساب العرب،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1971،

بيـــــاب قـــــديس، والمكـــــر عســـــير يعـــــار جنـــــاحي طـــــائر فيطيـــــر دلفنـــــا لأخـــــرى كالجبـــــال تســـــير
جمـــــال بأحمـــــال لهـــــن زفيـــــر

تـــــذكر هـــــداك الله وقـــــع ســـــيوفنا عشـــــية ود القـــــوم لـــــو أن بعضـــــهم إذا مـــــا فرغنـــــا مـــــن قـــــراع كتيبـــــة
تـــــرى القـــــوم فيهـــــا أجمعـــــين كـــــأنهم

شعراء الفتوح الإسلامية: عرفت فترة الفتوحات الإسلامية في صدر الإسلام نبوغ العديد من الشعراء –كما سلف الذكر في طوائف الشعراء- ومنهم:

1- عمرو بن معد يكرب الزبيدي: أشار النعمان عبد المتعال القاض إلى ظاهرة مست شعر الفتوح، ألا وهي القلة، فقال: "وشعر عمرو في الفتوح قليل جدًا، لا يتجاوز عدة مقطعات قصيرة، وهذه ظاهرة عامة ينضوي تحتها شعر الشعراء القدامى، الذين اشتركوا في الفتوح جميعها، في قلة ما خلفوا من آثار في شعر الفتح، وينضوي تحتها شعر الفتح كله في قلة عدد الأبيات التي تحتويها المقطوعة"[1].

ويقول أيضا:" ولا يطالع الدارس قصيدة واحدة في شعر الفتح طال نفسها أو تعددت أغراضها -كقصائد الجاهلية- فلا ظروف القتال من جانب، ولا نفسية المقاتل من جانب آخر تتيحان امتداد نفس الشاعر، فتحولت القصائد من ثم إلى مقطعات لاهثة، يصب فيها الشاعر عواطف اللحظة ومشاعرها في سرعة خاطفة، كتلك التي صب فيها عمرو خبر قتله لرستم في ثلاثة أبيات، اشتملت على: تزويد صاحبه بإقراء سلمى صاحبته تحيته، وأن يذكره عندها، ويذكر حبه لها، وأن ينقل إليها خبر قتله رستم، وقصر هذا الشرف عليه وحده دون غيره. ثم يصف الطريقة التي فتك بها بهذا القائد"[2]. كل هذا في تلك الأبيات القليلة التي تقول: (3)

إ َن بنـــــا مـــــن دُبِّهـــــا لَيـــــذَنا تَرعـــــى دِقـــــافَ الرَّمـــــل مـــــن أَرزَنـــــا لَبابَهـــــا أَســـــوَدَ مُغـــــدَودِنا
مـــــا قطَّـــــرَ الفـــــارسَ إلا أنـــــا

والخيـــــلُ تَعـــــدو زِيَمـــــاً بَينَنـــــا

أَلمِـــــم بســـــلمى قبـــــل أَن تَظعَنـــــا كـــــأَ َن ســـــلمى ظَبيـــــةٌ مُطفِـــــلٌ تَنشُـــــرُ وَحفـــــاً مُســـــبَكِرّاً علـــــى
قـــــد علمـــــت ســـــلمى وجارتُهـــــا شَـــــكَكتُ بـــــالرُمح دَيَازِيمَـــــهُ

ويبدي الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي ملاحظاته على شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي

وشعراء الفتوح، فيقول: " إن عمرًا وغيره من الشعراء القدامى كانوا أبعد الشعراء الذين اشتركوا في الفتوح

عن التأثر بأية خصائص إسلامية في شعرهم، إذا ما قارنا شعرهم بشعر غيرهم من الشعراء الذين أنطقتهم الفتوح، فتغنوا بالمثل الإسلامية، وكان شعرهم معرضً ا للخصائص التي اكتسبها الشعر من الإسلام"[4].

---

[1]- النعمان عبد ا تعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ص 216- 217. [2]- النعمان عبد ا تعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ص 217.

[3]- مطاع الطرابيشي:شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي، ط2، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، 1985، ص 166.

[4]- النعمان عبد ا تعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ص 218.

ويضيف ملاحظات أخرى لخصها في قوله:" وهكذا يمكننا القول: بأن شعر عمرو لم يكتسب خصائص إسلامية من واقع الحياة التي عاشها في الفتوح، وبرغم ضياع شعره فيما نعتقده فإنه لجلي أن شعره الإسلامي في الفتوح لو كان وجد بتمامه لما افترق في شيء عن شعره الجاهلي، وإنما هو استبدل بأيام زبيد أيامًا إسلامية، عبر فيها نفس التعبير الذي كان يعبر به عن غزوات قومه في الجاهلية. ولم يتأثر شعره بالإسلام ولا بالفتوحات، كما لم تتأثر حياته ذاتها إلا بهذه التأثيرات العامة، التي تعرض لها كل شعر الفتوح، من انكماش القصيد وسرعته، وتدفقه في إيجاز وحرارة، فضلاً عن صدقه الشعوري، وحرارة تعبيره، التي لازمت شعره في الفتوح"[1].

2- القعقاع بن عمرو التميمي:

لم يرد في كتب الرواة والعلماء شيئا عن القعقاع بن عمرو التميمي وعن شعره في مرحلة ما قبل الإسلام، ويرى الدكتور النعمان أن شعره مرتبط بالفتوحات الإسلامية، يقول:" فمجموع شعره إسلامي، أو بعبارة أدق: ليس له شعر إلا في الفتوح التي أنطقته بالشعر. وقد أسهم هذا إلى جانب وضوح حياته وبلائه في الفتوح في تواتر شعره، وازدياد الثقة بصحته جميعًا؛ إذ يقترن شعره بحياته خطوة بخطوة، ويتفق مع الأحداث التاريخية اتفاقًا تامًا"[2]؛ وبهذا يمكن للباحث أن يتخذ شعر القعقاع بن عمرو وثيقة تاريخية يرصد وقائع الفتوحات من خلاله، وقطعة فنية تضاف إلى جملة الرصيد الأدبي العربي، يقول الدكتور النعمان عبد المتعال القاض:" وعلى هذا فشعره يمكن أن يعد وثيقة تاريخية بالغة القيمة، فهو مرآة لأحداث الفتوح التي عاشها الشاعر الفارس وعاصرها؛ حيث تنعكس عليه جميع جوانبها، من تحركات وتحولات وقتال ونصر واستشهاد، ولم يحدث أن تحركت كتيبة من مكان إلى مكان، أو تحولت من ميدان إلى ميدان، ولا من معركة إلى معركة إلا وسجل شعره ذلك، حتى لتختلف الروايات التاريخية في أمر الفتوح الأولى في الشام، وشهود كتيبة خالد هذه الفتوح، فإذا بشعره يسجل الوقائع التي حدثت في الشام مرتبة ترتيبًا زمنيًا، مبتدئًا بسقوط خالد على بني غسان في ديارهم، متنقلاً إلى بصرى؛ حيث التقى بسائر جند المسلمين ومنتهيًا إلى اليرموك"[3]. ومن أشعاره في وصف معارك الفتوح، قوله: (4)

لغســـان أنفـــا فـــوق تلـــك المنـــاخر فألقـــت إلينـــا بالحشـــا والمعـــاذر بنـــا العـــيس فـــي اليرمـــوك جمـــع العشـــائر

بـــــدأنا بجمـــــع الصـــــفرين فلـــــم نـــــدع وجئنـــــا إلـــــى بصـــــرى وبصـــــرى مقيمـــــة فضضـــــنا بهـــــا أبوابهـــــا ثـــــم قابلـــــت

ويصف الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي العلاقة بين الشعر والمعارك الفتوحات الإسلامية

فيقول:"ولم يترك معركة اشترك فيها إلا وصورها في شعره، مشيدًا ببطولته وبطولة المسلمين، فعل ذلك في

الحفير، وفي الولجة، وفي الثني، وفي الحيرة، وفي الحصيد، وفي الخنافس والمصيخ، وعند اليرموك،

ص 218.

ص 229.

ص 229.

[1]- النعمان عبد ا ّلله القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، [2]- النعمان عبد ا ّلله القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، [3]- النعمان عبد ا ّلله القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام،

ص 434.

[4]- ياقوت الحموي: معجم البلدان،تح فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، لبنان،1977،ج05،

ودمشق، وفحل، وفي القادسية، والمدائن، وجلولاء، وحلوان، وأخيرًا في نهاوند، ويكاد يكون القعقاع لهذا أكثر شعراء الفتوح شعرًا وأغزرهم إنتاجً ا، فله في كل موقعة من هذه المواقع مقطوعة أو أكثر، وينصرف شعره كله في الإشادة ببلائه وبلاء قومه، والإشادة ببطولات الفرسان من أصدقائه ورثائهم، وتصوير قسوة المقاومة التي يلقونها من الفرس وعرب القبائل والروم، والحوادث التي تقع في أثناء المعارك، فضلاً عن أرجازه التي كانت تهيب بالمسلمين أن يتقدموا للقاء أعدائهم. فهو يفخر بفعاله يوم نهاوند، حينما تعقب ركب الفيرزان وقتله عند ثنية العسل" [1].

ويذكر هتكه لبيوت الفرس، ومباغتتهم في قراهم فيقول: (2)

بكل فتى من صلب فارس خادر وما كل من يلقى الحروب بثائر على فتر من جرينا غير فاتر إلى غاية أخرى الليالي الغوابر

جذعت على الماهات في ألف فارس هتكت بيوت الفرس يوم لقيتها جست ركاب الفيرزان وجمعه هدمت بها الماهات والدرب بغتة

ويتناول هذه الوقعة في مقطوعة أخرى، يصور فيها متابعته للفيرزان، وما كان من سقوط الفرس في خندق نهاوند، المسمى وادي خرد، فيقول مفتخرًا بصنيعه: (3)

وقد أحسنت فيه جميع القبائل إلى جبل آب حذار القواصل فقطره عند ازدحام العوامل تنوبهم عبس الذناب العواسل

ويوم نهاوند شهدت فلم أحم عشية ولي الفيرزان موايلا فأدركه منا أخو الهيج والندى وأشلاؤهم في وادي خرد مقيمة

وقد تناول هذه المعركة كرة أخرى، مفتخرًا بقومه الذين أبلوا معه فيها بلاء حسنًا، وكأنه يدفع عنهم اتهامًا بالتقصير، ويعدد فعالهم بالفرس يوم نهاوند فيقول: (4)

بداهية تبيض منها المقادم أحرط حريمي والعدو الموائم صدرنا به والجمع حران داحم لشر ليال أنتجت للأعاجم غداة نهاوند لإحدى الفطائم رجالاً وخيلاً أضرمت بالضرائم

فلـــم ينجـــه منهـــا انفســـاح المخـــارم

رمـــى الله مـــن ذم العشـــيرة ســـادرا فـــدع عنـــك لـــومي لا تلمنـــي فـــإنني فـــنحن وردنـــا فـــي نهاونـــد مـــوردا
ونحـــن حبســـنا فـــي نهاونـــد خيلنـــا فـــنحن لهـــم بينـــا ونصـــل ســـجلها ملأنـــا شـــعابا فـــي نهاونـــد مـــنهم
وراكضـــهن الفيـــرزان علـــى الصـــفا

ص 228.

[1]- النعمان عبد ا تعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ،

ص 48.

ص 356.

ص 314.

[2]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج05،

[3]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج05، [4]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج05،

بمـــا لقيـــت منـــا جمـــوع الزمـــازم

ألا أبلـــغ أســـيدًا حيـــث ســـارت ويممـــت شعر الفتوح أنواعه وموضوعاته:

قصيد ورجز:

هناك علاقة بين شعر الرجز وعواطف الفرسان والجنود في أرض المعركة ويلخص النعمان عبد المتعال القاض هذه العلاقة في قوله:"حقًا كانت فكرة الجهاد تجذبهم بألقها، وتدفعهم إلى استرخاص أرواحهم في سبيلها، مؤمنين بنصر الله وبما وعدوا من الجنة وحسن المآب، ولكن العواطف الإنسانية المختلفة لا بد أن تثير فيهم هذه المشاعر، في مثل هذا الموقف الرهيب. ومهما كانت مشاغل الفاتحين واهتماماتهم عظيمة وضخمة، فإنها لا بد أن تضيق عن استنفاد مثل هذه المشاعر، ولا بد أيضً ا لهذه المشاعر أن تجد منفذًا تتسرب خلاله طاقاتها، فيفرج عن الفاتحين بعض ما تزخر به جنباتهم، ويعبرون فيه عن هذه العواطف وتلك المشاعر"[1].

وقد استنفد التعبير الشعري كل هذه الطاقات النفسية واستوعبها؛ إذ انطلق الشعر على كل لسان، وقدمت الفتوح بانتشارها وتمددها لهؤلاء الفاتحين مادة هذا الشعر في أحداثها، وما تثيره من أحاسيس في هذه البيئات الجديدة، وما عانوا فيها من ابتعاد عن بيئتهم . وقام الشعر بهذه المهمة خير قيام، وإن طبع بطوابع أملتها عليه الظروف القاسية للمعارك وتلاحقها وعنفها، فاتسم بخصائص معينة في شكله ومضمونه[2].

ويحدد الدكتور النعمان "ومن اليسير أن نتتبع أنواع هذه المنظومات، وأن نجمعها في نوعين كبيرين من حيث الشكل الفني، وهما :القصيد والرجز. فمع أن الرجز ليس إلا وزنًا من أوزان الشعرالشعر، وليس له قالب مستقل بذاته، إلا أننا نميل إلى جعله نوعًا مستقلاً من أنواع التعبير؛ لمخالفته للشعر في شكله العام، وفي اقتصاره على أبواب معينة وموضوعات بذاتها، فضلاً عن تميزه بدور كبير في ظروف القتال، لم يتسن للشعر، في التحميس ورفع روح المحاربين، إلى جانب أن الرجز لسهولته وقربه من السليقة العربية كان سبيل الشعراء المغمورين، الذين أنطقتهم الفتوح، وهم كثرة كثيرة. بينما كان شعر القصيد سبيل الممتازين من الشعراء، وإن كان لم يحتفظ بخصائص الشعر العربي التقليدية، فأضحى مقطعات قصيرة قليلة عدد الأبيات"[3]. ويقول في خصائص شعر الفتوح:" وفي الحقيقة: إن شعراء الفتوح جميعًا قد خضعوا خضوعًا متماثلاً للطوابع التي طبعت بها الفتوح شعرهم جميعًا، ففضلاً عن تركز اهتماماتهم ونوازعهم في المسئولية الضخمة التي يحملونها، فإن ظروف القتال وقسوة الحياة تحت ظلال السيوف لم

تكن لتعينهم على التنفس الغنائي الهادي، والتعبير الوجداني المنساب، في قصائد متأنية مديدة النفس، ولهذا كان تنفسهم سريعًا لاهثًا ومتلاحقًا، وخاطفًا ومحدودًا في مضمونه وفي شكله بطبيعة الحال، فاتخذ القريض شكل المقطعات القصيرة. واستتبع هذه الإطاحة بمقدمات القصائد التي تعتبر من أهم تقاليد

ص 238.

ص 238.

ص 238.

[1]- النعمان عبد ﷲ القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ،

[2]- النعمان عبد ﷲ القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، [3]- النعمان عبد ﷲ القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ،

الشعر العربي، الموروثة عن العصر الجاهلي، والتي ظلت تحكم الشعر ردحًا من الزمان، ولم تفلح الثورات الأدبية في الإطاحة بها بعد ذلك"[1]. ويضيف قائلا: "ومهما كان رأي الباحثين في هذه المقدمات الطللية والغزلية من أنها ترتفع بالشاعر إلى بيئة شعرية رفيعة يخرج فيها عن أطوار الحياة الواقعية المادية

إلى عواطف الحنين والشوق مما يعده للغناء، فإن الشاعر كان يجد فيها بلا ريب متنفسًا للحديث عن ذاته، وإشباعًا لمنازعه الفردية، قبل أن يشغل بغرضه الذي كان ينصرف دائمًا إلى الفناء في وجدان القبيلة بحكم وضعه الاجتماعي. والأمر مختلف في الفتوح، فليس هناك ما يدعو إلى أن يختلق الشاعر في مقدمات قصيده، ما يكون مسربًا لفرديته؛ إذ ليس هناك حرج في أن يشيد الشاعر بذاته، ويعبر عن فرديته داخل إطار الجماعة الإسلامية تعبيرًا حرًا، دون النجاء إلى المقدمات التي لا بد أن تشغله في مثل هذه الظروف المضطربة السريعة الأحداث عن التعبير المباشر"[2]. ومن أهم خصائص شعر الفتوح ما جاء في قول الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي: "إن الشاعر المجاهد ليريد -قبل أن يشعر أنه يريد- أن ينفض ما بنفسه ابتداء دون تقيد بتقاليد أو تمسك بنظم في التعبير، إلا ما يفرضه طبيعة الإحساس النفسي، والحالة الشعورية التي تتقمصه ولهذا فلن نجد بين شعر الفتح كله قصيدة واحدة، تزيد أبياتها عن عشرة أبيات، ولن نجد قصيدة تشتمل على أكثر من غرض واحد إلا فيما ندر، فكل مقطوعة تستقل بموضوع واحد يعبر عنه الشاعر هذا التعبير المندفع السريع وأدى هذا إلى جانب انطلاق الشعر على ألسنة الكثيرين من الفاتحين العاديين إلى أن يكثر الرجز، وأن ينفك عن وظيفته التي كانت له في الجاهلية كأداة للتحميس، وشحذ القوى وإلى أن يشارك القصيد في التعبير عن بعض موضوعاته التي تخرج عما ألفه الرجز في الجاهلية من الحرب والمفاخرة والحداء، فكاد يكون قسيم الشعر القصائدي، وإن ظل في شكله ومضمونه لا ينم عن إعداد أو عناية؛ نتيجة قربه من السليقة الفطرية للعرب، وارتجاله في المواطن المختلفة، وإن ظلت له نفس المهمة في التحميس. وسوف نرى أنه لم يقصر عن خوض الموضوعات التي خاضها الشعر إلا في القليل الذي لا يتفق وإيقاعه العنيف"[3].

موضوعات قديمة متطورة: شعر الجهاد:

يقول الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي عن موضوعات شعر الفتوح وموضوعاته:"تغَّنى الشعر كما تغَّنى الرجز بموضوعات بعضها قديم تداوله الشعر العربي على اختلاف عصوره كالحماسة والرثاء،

وبعضها الآخر جديد، لم يعهده الشعر العربي قبل الفتوح. فشعر الجهاد وإن جال في تصوير ظروف الفتح الجديدة فإننا لا نستطيع أن نعده بابًا جديدًا من أبواب الشعر، وكذلك الرثاء؛ إذ إن لهما جذورًا في الشعر العربي ثابتة، وغاية الأمر أن هذه الظروف الجديدة قد كست هذين اللونين من الشعر صبغًا جديدًا فتطورًا قليلاً، وإن دلا على تأثرات جديدة؛ فإن أصلهما واضح جلي في الشعر العربي. ونعني بشعر

ص 238.

ص 239.

ص 240- 241.

[1]- النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ،

[2]- النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، [3]- النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ،

الجهاد ذلك الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بما كان من إقدام الجند أو الكتيبة أو الشاعر، أو صديق له أو زميل، أو قائده أو عدوه. وعن كل هذه الطرق يعبر الشاعر عن قسوة المعارك، وضراوة القتال، وشدة اللقاء، وما كان يحدث في أثناء المعارك من إقدام أو إحجام، وما قد تنتهي إليه من نصر أو هزيمة، وما يكون بعد ذلك من فخر أو تصميم على الثأر والانتقام، بينما قد يكون تصوير المعارك وما تشتمل عليه طريقًا إلى الإشادة بالنفس أو بالغير، وهكذا"[1]. وهذا الموضوع هو أكثر موضوعات الشعر التي بين أيدينا ترددًا واتساعًا، ومن أمثلة هذا الشعر الذي يشيد ببلاء الجماعة الإسلامية وبسالتها وإيقاعها بالعدو

عشـــية شـــهراك علـــون الرواســـيا تـــراه كمـــوار الســـحاب مناغيـــا فقـــد خضـــبوا يـــوم اللقـــاء العواليـــا

قول خليد بن المنذر في يوم طاوس: (2) **بطـــاووس ناهبنـــا الملـــوك وخيلنـــا أطاحـــت جمـــوع الفـــرس مـــن رأس حـــالق فـــلا يبعـــدن الله قومًـــا تتـــابعوا**

وقد يجعل الشاعر تصوير المعركة سبيلاً إلى تصوير بلائه والإشادة بنفسه، كقول نعيم بن مقرن قائد المسلمين في وقعة واج روذ بهمذان، التي تصدى فيها "لموتا" قائد الفرس ونكل به تنكيلاً، قال: (3)

بنـــي باســـل جـــروا جنـــود الأعـــاجم لأمنـــع مـــنهم ذمتـــي بالقواصـــم جبـــال تـــراءى مـــن فـــروع الغلاســـم وقـــد جعلـــوا يســـمون فعـــل المســـاهم غـــداة رمينـــاهم بإحـــدى العظـــائم لحـــد الرمـــاح والســـيوف الصـــوارم جـــدار تشـــظى لبنـــه للهـــوادم وفيهـــا نهـــاب قســـمة غيـــر عـــاتم نقـــتلهم قتـــل الكـــلاب الجـــواحم ضـــئين أصـــابتها فـــروج المخـــارم

ولمـــا أتـــاني أن "موتـــا" ورهطـــه نهضـــت إلـــيهم بـــالجنود مســـاميا فجئنـــا إلـــيهم بالحديـــد كأننـــا فلمـــا لقينـــاهم بهـــا مستفيضـــة صـــدمناهم فـــي واج روذ بجمعنـــا فمـــا صـــبروا فـــي حومـــة المـــوت ســـاعة كـــأنهم عنـــد انبثـــاث جمـــوعهم أصـــبنا بهـــا "موتـــا" ومـــن لـــف جمعـــه تبغنـــاهم حتـــى أووا فـــي شـــعابهم كـــأنهم فـــي واج روذ وجـــوه

الرثاء:

والموضـوع الثـاني مـن الموضـوعات القديمـة فـي شـعر الفـتح هـو الرثـاء، وهـو غـرض مسـتقل مـن أغـراض شـعر الفـتح مقصـود لذاتـه، وهـو كشـعر الجهـاد تمجيـد لبطولـة الـذين استشـهدوا، وإشـادة بفعـالهم، ومـواقفهم، والبكاء عليهم، وافتدائهم، وتعداد مآثرهم, وهو وإن كان يتفق مـع الرثـاء الجـاهلي فيمـا يشـيع فيـه مـن الحـزن

---

(1)- النعمان عبد المتعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ص 241- 242.

(2)- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج04، ص 08.

(3)- الطبري: تاريخ الطبري،تح صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 03، ص26 .

والأسى، وما يغلب عليه من استشعار الأسف والجزع على الفقيد، فإنه يختلف عنه فيما يمتلئ به من روح

التسليم بالقضاء، والامتثال لإرادة الله وحسن تقبلها، وتمثل ما أعده الله للشهداء من جزاء عظيم، كهذا الاستسلام الذي يبدو في رثاء أبي عامر بن غيلان لولده، الذي خرج غازيًا وأدركه طاعون عمواس؛ إذ

يترجم الآية الكريمة: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: ٢٦] في قوله:

سحا وتبكي فارس الفرسان تحت الضلوع وكل حي فان

عيني تجود بدمعها الهتان لو أستطيع جعلت مني عامرا

وكهذا التسليم الذي يشيع في رثاء أبي الحباب -ذريح بن الحارث- لولده الذي استشهد في قتال الفرس، فيشبهه بالشهاب الذي خمد، ويشيد ببلائه في القتال، وانعدام نظيره في الفرسان إلى يوم الدين، لكنه يعود إلى اليقين بأن لكل أجل كتاب فيقول:

له شبها ما دام الله ساجد وكل شهاب لا محالة خامد

أبغي الحباب في الجهاد ولا أرى وكان الحباب كالشهاب حياته

ويتجلى هذا التسليم بقضاء الله في صورة رائعة في قصيدة أبي ذؤيب الهذلي، الذي فقد بنيه الخمسة في طاعون بمصر؛ إذ يبكيهم بكاء مرًا، مظهرًا أسفه البالغ على فقدهم، ويذكر حمايته لهم ودفاعه عنهم، ولكنه لم يجد شيئًا أمام مناياهم التي حمت، فيقول:

والدهر ليس بمعقب من يجزع بعد الرقاد وعبرة لا تقلع وإخال أني لاحق مستتبع
فإذا المنية أقبلت لا تُدفع ألفيت كل تميمة لا تنفع فبأرض قومك أم بأخرى المصرع
ولسوف يولع بالبكا من يفجع يبكي عليك مقنعًا لا تسمع أني لريب الدهر لا أتضعضع

أمن المنون وريبها تتوجع أودى بنيّ وأعقبوني حسرة فغبرت بعدهم بعيش ناصب
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم وإذا المنية أنشبت أظفارها لا بد من تلف مقيم فانتظر
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولتأتين عليك يوم مرة وتجلدي للشامتين أريهم

فمدافعة المنون عبث، والجزع أمام صروف الدهر لا قيمة له، وعلامَ يجزع وهو لاحق بهم لا محالة؟! فليس أحد بخالد، وقد حاول الدفاع عنهم وضاعت جهوده سدى، فالمنايا لا تدفع، ولكل إنسان مصرع لا يعلم زمانه ولا مكانه والبكاء سفاهة؛ إذ لا قيمة له، والباكي سوف يُبكى عليه يومًا ما.

وفضلاً عن هذه الروح الإسلامية نجد اعتزازًا كبيرًا بما أعده الله للشهداء من ثواب وأجر، كما في قول من رثى شهداء المسلمين الذين دفنوا في القادسية بمشرق؛ إذ قال:

جـــزى الله أقوامًـــا بجنـــب مشـــرق غـــداة دعـــا الـــرحمن مـــن كـــان داعيـــا

جنابًـا مـــن الفـــردوس والمنـــزل الـــذي يحـــل بـــه م الخيـــر مـــن كـــان باقيـــا

ولعلنـا لا نجـد فـي الشـعر العربـي قصـائد كثيـرة تشـبه القصـيدة الرائعـة التـي رثـى بهـا كثيـر بـن الغريـزة النهشلي الذي كان بجيش الأقرع بن حابس التميمي شهداء جوزجان والطالقان، ورثى بها نفسه رثاء رائعًا، يذكرنا بقصيدة مالك بن الريب في فتح خراسان، وهي تجري على هذا النمط:

مصـــــارع فتيـــــة بالجوزجـــــان أقـــــادهم هنـــــاك الأقرعـــــان حنـــين القلـــب للبـــرق اليمـــاني
ـــــلقاء ولـــــن أراه ولـــــن يرانـــــي بكيـــت ولـــو نعيـــت لـــه بكـــاني فمـــا أدري باســـمي أم كنـــاني
عطفـــت عليـــه خـــوار العنـــان يطـــرف عنـــك غاشـــية السـنان عـــن الأقـــران فـــي الحـــرب العـــوان
ولـــم أجعـــل علـــى قـــومي لســـاني منيـــع الجـــار مرتفـــع البنـــان وأقضـــي واحـــدًا مـــا قـــد قضـــاني
سأوشـــك مـــرة أن تفقـــداني وإن أشـــفقت مـــن خـــوف الجنـــان تـــركن بـــدار معتـــرك الزمـــان
ســـواجي الطـــرف كـــالبقر الهجـــان وللرشـــد المبـــين فاهـــدياني ونفعكمـــا بعيـــد الخيـــر وإن ولا
وأبيكمـــــــا لا تفعـــــــلان

ســـقى مـــزن الســـحاب إذ اســـتقلت إلـــى القصـــرين مـــن رســـتاق خـــوط ومـــا بـــي أن أكـــون جزعـــت إلا
ومحبـــور برؤيتنـــا يرجـــى الـــ ورب أخ أصـــاب المـــوت قلبـــي دعـــاني دعـــوة والخيـــل تـــردى
فكـــان إجـــابتي إيـــاه أنـــي وأي فتـــى إذا مـــا مـــت تـــدعو فـــإن أهلـــك فلـــم أك ذا صـــدوف
ولـــم أدرج لأطـــرق عـــرس جـــاري ولكنـــي إذا مـــا هـــايجوني ويكرهنـــي إذا استبســـلت قرنـــي
فـــلا تســـتبعدا يـــومي فـــإني ويـــدركني الـــذي لا بـــد منـــه وتبكينـــي نـــوائح معـــولات
حبـــائس بـــالعراق منهنهـــات أعـــاذلتي مـــن لـــوم دعـــاني وعـــاذلتي صـــوتكما قريـــب
فـــردا المـــوت عنـــي إن أتـــاني

فالشـاعر جـزع علـى هـؤلاء الشـهداء، الـذين لاقـوا مصـارعهم فـي هـذه الـبلاد النائيـة، وزاد فـي جزعـه أيضًـا أنـه يحـن وقـد رأى مـا رأى إلـى موطنـه وإلـى مـن خلفهـن فـي العـراق، وهـو يشـعر بأنـه لـن يلقـاهن، ويتضـاعف حنينه وفزعه عندما يقابل بين ما حدث لهؤلاء الفتيان وما يمكن أن يحدث له هو الآخر، فليس هناك فرق بين أن ينعى إليه أخ أو أن ينعى هو إليه. وماذا يمكن أن يفيده الجزع وقد قام بواجبه على أتـم وجه، وأدى ما استطاع، وقدم كل ما يملك لهذا الأخ الذي استنجد به في المعركة فـي بسـالة لا نظيـر لهـا،

فلا ضير إذا هلك، فهو شجاع لا يجبن عن ملاقاة الأقران، عفيف لم يمتد طرفه إلى عرس جاره، ولم يؤذِ أحدًا من قومه، وهو منيع الجار، لا يقبل الضيم، وإذا أهيج يكرهه خصمه إذا لاقاه لصلابته وفتكه، وهو الآن يشعر بدنو أجله، ويحس أنه عما قريب مفتقد، فسوق يدركه الموت الذي لا مفر منه، ولن يشفع له حبه الحياة، وآنذاك سوف تعول نائحات ساجيات الطرف عليه في العراق .

موضوعات جديدة في شعر الفتوح:

لشعر الفتوحات الإسلامية منظومات فيها تجديد في الموضوعات هذه الموضوعات الجديدة التي

عبر عنها شعر الفتح نتيجة طبيعية لحياة الفاتحين في بيئة جديدة عنهم وبعيدة عن أوطانهم.

أ- **شعر الحنين:** يجعل الدكتور النعمان شعر الحنين في المرتبة الأول من الموضوعات الجديدة التي

استحدثها شعراء الفتوح فيقول:"وأول هذه الموضوعات ما نسميه بشعر الحنين، ونعني به ذلك الشعر الذي

يعبر عن أشواق الشاعر التي كانت تملأ جوانبه، وعن المواجع التي كانت تلذع كبده، نتيجة بعده عن

وطنه، عندما يتذكر مرابعه الأولى فيحن إليها، ويذكر أهله الذين فارقهم، ويتمنى لقاءهم فيشكو بعده

واغترابه عنهم، كهذا المجاهد الذي يشكو غربته إلى قمرية خالها غريبة مثله في مرو الشاهجان"[1]. فقال:

مـــن الـــدهر أحـــداث أتـــت وخطـــوب كلانـــا بمـــرو الشـــاهجان غريـــب

أقمريـــة الـــوادي التـــي خـــان إلفهـــا تعـــالي أطارحـــك البكـــاء فإننـــا

ويفسر الدكتور حسين علي عبد الحسين الدخيلي القمرية هنا تفسيرا آخر يقول:" فالقمرية هنا ليست الحمامة التي ترمز للوفاء والإخلاص، وإنما المرأة والزوجة خاصة التي يبغي الشاعر الوصول إليها ومطارحتها البكاء وألم الفراق، فكلاهما غريبان الشاعر غريب الوطن والأحبة، والزوجة غريبة لا معيل لها بعد زوجها الذي فارقها""[2].

ويقول النعمان عبد المتعال القاضي:" وكما يسكب الشاعر الغريب عواطفه على الطيور ويشكو إليها همومه يفزع إلى طبيعة دياره التي خلفها وراءه، عندما يعاني من قسوة أجواء هذه المناطق النائية وبردها وثلجها، فيتحسر على دفء موطنه، كهذا الشاعر الذي راح يذم جو مرو، ويتمنى جو العراق في بره وبحره"[3]؛ إذ يقول:

أرض تتـــــابع ثلجهـــــا المـــــذور إن الفـــــؤاد بشـــــجوه معـــــذور

وأرى بمـــــــرو الشـــــــاهجان تنكـــــــرت أســـــفي علـــــى بـــــر العـــــراق وبحـــــره

---

(1)- النعمان عبد ا تعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ص 254.

(2)- علي عبد الحسين الدخيلي: البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر صدر الإسلام،دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، 2010، ص 124.

(3)- النعمان عبد ا تعالي القاضي: شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، ص 254.

وإن كـان هـذا الشـاعر يـذم بـرد مـرو شـوقًا إلـى دفء العـراق، فـإن شـاعرًا آخـر مـن الفـاتحين يضـيق بقيظ بعض المناطق البعيدة الأخرى عن وطنه، ويتنسم بـرد ريـاح نجـد، وطيـب مناخـه، ضـائقًا بغربتـه بـين أنـاس ليسوا من قومه ولا من عشيرته ولا من لسانه، فيقول:

بعينيـــك ريـــا مـــا حييـــت ولا نجـــدا ولا واطئًـــا مـــن تـــربهن ثـــرى جعـــدا ريـــاح الصـــبا تعلـــو دكـــادك أو وهـــدا
قـــرى نبطيـــات يســـمينني مـــردا ويجلـــو دجـــى الظلمـــاء ذكرتنـــي نجـــدا بنجـــد وتـــزداد الريـــاح بـــه بـــردا

أتبكـــي علـــى نجـــد وريـــا ولـــن تـــرى ولا مشـــرفا مـــا عشـــت أقفـــار وجـــرة ولا واجـــدًا ريـــح الخ ازمـــي تســـوقها
تبـــدلت مـــن ريـــا وجـــارات بيتهـــا ألا أيهـــا البـــرق الـــذي بـــات يرتقـــي ألـــم تـــرَ أن الليـــل يقصـــر طولـــه

وأخذ الشعور بالغربة على الفاتحين يتصور صورًا مختلفة، فنجد يقصر الليل فيه وتزداد رياحه بردًا، ولكنه في غربته يزداد طولاً وقيظًا.وهذا ورد بن الورد في رامهرمـز يحـن إلـى حبيبتـه وديـاره فـي بنـي كعـب، فيصـور فـؤاده مصـعدًا مـع المصـعدين إلـى أرض الـوطن، ولا يجـد خيـرًا فـي الـدنيا إذا لـم يـزر فيهـا حبيبـه فيقول:

ألا كـــــل كعبـــــي هنـــــاك غريـــــب

ارمهرمـــــز

أمغتربـــــا أصـــــبحت فـــــي

مـــــع المصـــــعدين الـــــرائحين جنيـــــب إلـــــى وإن لـــــم آتـــــه لحبيـــــب حبيبًـــــا ولـــــم يطـــــرب إليـــــك حبيـــــب

إذا راح ركـــــب مصـــــعدون فقلبـــــه وإن القليـــب الفـــرد مـــن أيمـــن الحمـــى ولا خيـــر فـــي الـــدنيا إذا لـــم تـــزر بهـــا

وراح بعض الشعراء يبكون حظهم الـذي ألقـى بهـم إلـى هـذه المنـاطق النائيـة، حتـى ليضـيقون بالقتـال والحرب فيها، ويصرحون بهذا في شعرهم، كما فعل هذا الجندي الذي يقول:

محلـــه جنـــد مـــا الأعاريـــب والجنـــد؟ زمـــاني بـــأرض لا يقـــال لهـــا بنـــد

تبـــدلت مـــن نجـــد وممـــن يحلـــه وأصـــبحت فـــي أرض الجنـــود وقـــد أرى

ويسـتبد الحنـين بالشـاعر فينظـر ناحيـة نجـد، بـرغم أنـه لا يـرى شـيئًا، ولكنـه ينظـر حنينًـا إليهـا وإلـى خيامها التي يقصـر عنهـا الطـرف،

وبرغم ألا نفع في نظره فلا يزال ينظر، ثم تجري عبراته تتحدر هكذا كل يوم، وهكذا لا يستريح قلبه، فإما مجاهد في غزاة، أو ناء يتذكر يقول:

برغمي وإن لم يدرك الطرف أنظر إذا أمطرت عود ومسك وعنبر ونور الأقاحي وشى برد مجير خيام بنجد دونها الطرف يقصر أجل لا، ولكني إلى ذاك أنظراً

أكرر طرفي نحو نجد وانني حنيناً إلى أرض كأن تُرابها بلاد كأن الأقحوان بروضه أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي وما نظري في نحو نجد بنافع

لعينـــــك مجـــــرى مائهـــــا يتحـــــدر بحـــــرب وامـــــا نـــــازح يتـــــذكر

فـــــي كـــــل يـــــوم نظـــــرة ثـــــم عبـــــرة متـــــى يســـــتريح القلـــــب إمـــــا مجـــــاوز

وفي مثل هذه الظروف القاسية الموحشة يجد الشاعر المجاهد الغريب نفسه بحاجة إلى أن يهرب إلى الطبيعة يبثها آلامه وأحزانه، ولا يزال الشعر الذي قيل في نخلة القادسية يصور لنا عاطفة الإنسان المأزوم نحو الطبيعة ولجوئه إليها، وبخاصة لو استشعر إلى جانب مشاعر الاغتراب والوحشة قلقًا يتهدد حياته، أو عندما يهاجمه الإحساس بدنو أجله.